

ماذا يبقى من المكتبات الخاصة؟

قراءة في ندوة «مستقبل المكتبة الخاصة» المنعقدة في فرانكفورت في 21 مايو 2026
ميشائيل كنوخه

المكتبات الخاصة ومصيرها:

كتب العالم الموسوعي هيرمان كونرينغ باللاتينية عام 1666 أن المكتبة الخاصة لا يُكتب لها في الغالب إلا عمر قصير: «في معظم الحالات تقوم بقيام جامعيها وتزول بزوالهم؛ ونادرًا جدًا ما تنتقل إلى ورثة يشاطرونهم حب الكتب، أو يملكون من الثراء ما يحول دون أن تضطرهم ضرورات الحياة اليومية إلى تفكيكها» [1].

إذا كان استشراف مستقبل المكتبات الخاصة قائمًا في القرن 17، فإنه يبدو شديد السواد في القرن 21. فالمجموعات الخاصة تعاني اليوم أيضًا تراجع مكانة الكتاب المطبوع بوصفه قيمة ثقافية، وهو ما يدل عليه انهيار أسعاره في السوق، وتلاشي ما كانت تمنحه المجموعة الكبيرة من تميز اجتماعي، فضلًا عن توافر النصوص الإلكترونية في كل مكان.

ولعل أعداد المجموعات التي بُنيت على امتداد عقود وأصبحت مهددة بالتفكك لم تبلغ قط ما بلغته اليوم. فهناك جيل بالكاد يفهم لماذا ملأ آبؤه وأجداده غرف العمل والمعيشة بالكتب، ولا يمتلك هو نفسه تلك الثقة بالكتاب؛ يجد هذا الجيل عند وفاة أصحاب المجموعات الأصليين نفسه أمام مشكلة تبدو مستعصية على الحل.

أسئلة عملية وندوة فكرية:

ظهرت حدة هذه المسألة في تكوين جمهور ندوة «مستقبل المكتبة الخاصة»، التي عقدت في 21 مايو 2026 بمؤسسة فرايس دويتشس هوخشتيفت في فرانكفورت [2]. فقد امتلأت القاعة بأشخاص تشغلهم أسئلة عملية ملحة: ماذا ينبغي أن نفعل بالكتب الموروثة، أو بكتبنا نحن إن كنا قد تقدمنا في العمر؟ وإلى أين تذهب؟ ولولا أن الجلسات الثلاث كانت محفزة وممتعة أحيانًا، لربما عاد هؤلاء إلى بيوتهم خائبين الأمل؛ إذ لم يستطع أحد تقديم حلول جاهزة، ولا حتى تاجر الكتب القديمة المشارك فولفغانغ روعر، الذي يمكن اختزال تقييمه لقدرة سوق الكتب القديمة على الاستيعاب بعبارة: «تخلوا عن كل أمل».

لكن هذه التوقعات لم تصب موضوع اللقاء الحقيقي. فلم تكن المنفعة العملية الممكنة من المكتبات الخاصة في مركز الاهتمام، بل غلبت على المناقشات تأملات منهجية في وضع المكتبة الخاصة الراهن ومستقبلها المحتمل، واتجهت خصوصًا إلى من لا يواجهون ضرورة التصرف العاجل. وتناولت الجلسات ثلاثة موضوعات: جمع الكتب ومصير المكتبات الخاصة، بمشاركة أنه بونينكامب وفولفغانغ روعر وأندرياس ديتسل وإدارة لوتار مولر؛ والعيش والسكن والعمل مع الكتب، بمشاركة ميشائيل هاغنر وفيولا هيلدبراند شات وفرانك فيتسل وإدارة أولريش راولف؛ وحياة المكتبات الخاصة بعد أصحابها في عصر الرقمنة، بمشاركة هانا فيمر وبترا غيرينغ وميشائيل كنوخه ولورنتس فيزمان وإدارة توماس شتاينفيلد.

يتضح من هذا العرض أن التركيز لم يكن على مكتبات الشخصيات الأدبية أو العلمية المشهورة، أو غيرهم من الشخصيات العامة. ولم يكن أيضًا على مجموعات الكتب النفيسة المتخصصة أو خزائن النوادر، التي يظل بيعها عبر تجارة الكتب القديمة أو استمرارها في المكتبات العامة احتمالًا قائمًا على الأقل.

انصب اهتمام منظمي اللقاء لوتار مولر وتوماس شتاينفيلد على الحالة المعتادة: مجموعات محبي الكتب الذين أنشؤوا مكتباتهم أداة للعمل أو بدافع الشغف الشخصي. وهذه المجموعات، ولنسمها «مكتبات محبي الكتب»، هي بالذات التي تشتد الحيرة بشأن مستقبلها. ويقضي احترام الجهد الكبير الذي بُذل في بنائها، وقيمتها العلمية المحتملة، البحث عن حلول تتجاوز إرسالها إلى مصانع إعادة تدوير الورق.

القيمة المعرفية للمجموعة الخاصة:

بما أن تقارير عدة عن الندوة قد نُشرت بالفعل [3]، فسأقتصر هنا على جانب واحد. ويبدو لي أن السؤال الجوهرى هو: ما القيمة المعرفية التي تقدمها مكتبات محبي الكتب للعلم؟

تكشف المكتبة الخاصة عن التكوين الفكري لمن جمعها، واهتماماته وفهمه الفردي لذاته وللعالم، بحسب اتجاه المجموعة الموضوعي، وتنظيمها، وطريقة استخدامها. وهي في الوقت نفسه شاهد على عصرها، والمناخ الفكري السائد فيه، وإمكانات اقتناء الكتب المتاحة آنذاك؛ ولذلك قد تقدم مادة مهمة لأسئلة علم اجتماع الأدب والثقافة.

وتكتسب طريقة تكوين المجموعة أهمية أيضًا؛ فالأفراد يستطيعون استثمار أموالهم في مجالات جمع يحددها بطريقتهم الخاصة، خلًا للمكتبات العامة التي يجب أن تسترشد باحتياجات جمهورها [4]. وقد ينشئون بذلك في بعض الحالات سياقات جديدة للمعنى، تحمل إمكانية لمساءلة الأنماط السائدة [5]. لكن مكتبات محبي الكتب تظل، قبل كل شيء، مصادر غنية لبحوث التلقي. فكثيرًا ما تكتسب النسخ فيها سمات فردية، من آثار الاستعمال والتملك، أو التعليقات الهامشية، أو التجليد الذي أنجز خصيصًا للمجموعة.

كيف تُحفظ هذه الشواهد للبحث؟:

يثير ذلك حتمًا سؤال الحفاظ على هذه المصادر للبحث. فهل تصلح مبادرة لإنقاذ الكتب على طريقة بيتر سودان نموذجًا؟ لقد جمع كل ما استطاع العثور عليه من كتب ألمانيا الشرقية ووضعها في مستودعات، لكنه بعد فعل الإنقاذ لم يعد يعرف ما المصير الذي ينتظر تلك الكتل من الكتب. ونوقشت في الندوة بدائل أخرى.

هل ينبغي التشجيع على فهرسة المكتبات الخاصة إلكترونيًا قبل احتمال تشتتها؟ لن يكون لذلك معنى إلا إذا وجدت منصة تيسر الإجراء تقنيًا، وتُظهر نتائج، وربما تتولى الإشراف عليه أيضًا: بوابة للمكتبات الخاصة الجديرة بالاهتمام. وكانت فهارس المزايدات المطبوعة تؤدي كثيرًا هذه الوظيفة الوثائقية في الماضي.

أم يكفي وصف معياري للمجموعة، مع صور لبعض القطع المميزة أو للشواهد الدالة على تاريخ ملكيتها؟ يتطلب ذلك أيضًا منصة مناسبة. وهل تستطيع مقابلات صوتية يروي فيها الأشخاص قصة مكتباتهم وكيفية نشأتها أن تعوض، ولو جزئيًا، بقاء المجموعة ماديًا؟

تزداد وجهة تشكك كونرينغ في العصر الرقمي: فالمكتبات الخاصة تقوم في معظم الحالات بقيام من جمعوها، وتسقط بسقوطهم. ومن ثم يزداد إلحاح السؤال: كيف نحافظ على القيمة المعرفية العلمية للمكتبات ذات المنشأ الخاص، بينما تتضاءل فرص الحفاظ عليها ماديًا؟

هوامش الأصل:

[1] Conring, Hermann. Die Bibliotheca Augusta zu Wolfenbüttel. Zugleich über Bibliotheken überhaupt. Göttingen, 2005, p. 43.

[2] ملاحظة محرري الأصل: عُقدت الندوة بمناسبة عيد الميلاد 75 للمؤلف، الذي أدار مكتبة الدوقة آنا أماليا في فايمار من 1991 إلى 2016.

[3] Spreckelsen, Tilman. Bücher sammeln, Bücher verstreuen. Frankfurter Allgemeine Zeitung, 23 May 2026
Schloemann, Johann. Wie man Bücher liebevoll wegwirft. Süddeutsche Zeitung, 1 June 2026
Böhmer, Sebastian. Die Zukunft der Privatbibliotheken. Ein Symposium. -im Freien Deutschen Hochstift am 21. Mai 2026. Aus dem Antiquariat N. F. 24, 2026(3), 70-71.

[4] Lucius, Wulf D. von. Die Beziehungen zwischen Bibliotheken, Sammlern und Antiquariatsbuchhandel. In: Dugall, Berndt & Hausinger, Angela (eds.). Nationale Verantwortung für kulturelle Überlieferung. Frankfurt am Main, 2010, 51-61, especially p. 59.

[5] Jessen, Caroline. Privates Sammeln. In: Gaber, Sarah; Höppner, Stefan; Hundehege, Stefanie (eds.). Provenienz. Materialgeschichte(n) der Literatur. Göttingen, 2024, 29-41. DOI: 10.15499/kds-009/10.15499.

البيانات البليوجرافية للمقال الأصلي:

Knoche, M. (2026). Was bleibt von Privatbibliotheken? Nachlese zum Symposium „Zukunft der Privatbibliothek“ am 21. Mai 2026 in Frankfurt/M. o-bib. Das offene Bibliotheksjournal, 13(3), 1-3. <https://doi.org/10.5282/o-bib/6286>

نُشر الأصل إلكترونيًا في 19 أغسطس 2026. ترجمة عربية أُعدت بمساعدة الذكاء الاصطناعي، مع إعادة التنسيق. حقوق النص الأصلي للمؤلفين المذكورين. تخضع هذه الترجمة لترخيص المشاع الإبداعي نسب المُنصّف 4.0 الدولي (CC BY 4.0).

المصدر: <https://doi.org/10.5282/o-bib/6286>

الترخيص: <https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/>